

صناعة الأسلحة في العصر الإسلامي صناعة السيوف العربية وتاريخها

نافذ سويد

صناعة الأسلحة في العصر الإسلامي:

أ - مقدمة:

قيل: من أراد السلم فليستعد للحرب. وقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُؤت إليكم وأنتم لا تظلمون"^(١).

والسلاح بيد المسلم ليس للتعدي أبداً، وإنما هو وقاية من العدو فالعدو عندما يدرك قوة جيش عدوه ويعلم مدى استعداداته تقع الرهبة في قلبه فيخافه، ويخشى خوض غمار الحرب، وبهذا يصبح السلاح لرهبة العدو أولاً وليس لقتاله، وهي قاعدة إسلامية سليمة تصلح لكل زمان ومكان، وحض الإسلام الإنسان على العمل والتفكير والإبداع في كل شيء، وإذا أشاد الباري بالسلاح وغرضه والتنبيه إليه إنما قصد سبحانه أن يوجه المسلمين إلى الإبداع والابتكار وصناعة نظائر الأدوات المستخدمة.

عرف العرب في الجاهلية أنواعاً كثيرة من الأسلحة المعدنية، وفي العصر الإسلامي فرضت الظروف السياسية والعسكرية تطوير الأسلحة والإكثار منها والبحث عن وسائل جديدة وأهم هذه الأسلحة السيوف والرماح، والدروع، والقسى، والسهم والتروس، كما استخدموا ما يسمى اللتوت^(٢)، وهي رؤوس حديدية مستطيلة ومضمرة، والطبر أو "الطبرزين" وهي الفأس، والدرق (اللمطية)^(٣) لاتقاء ضربات العدو وسهامه (وهي مغطاة بجلد اللمط، وهو نوع من الحيوانات تعيش في الصحراء)،

(١) قرآن كريم - الأنفال (٦١).

(٢) اللت: هو الدق والشدة.

(٣) درق لمطية: ترس تنسب للمطنة، وهي أرض لقبيلة بالبربر ينسب إليها الدرق، لأنهم ينقمون الجلود في الحليب سنة فينبو عنها السيف القاطع، وقيل لمط اسم أمة من الأمم (القاموس المحيط).

كما استخدموا الخوذات، أو البيضات الحديدية لحماية رؤوسهم وارتدوا "الجواشن"^(٤) لحماية صدورهم، ونظراً لأن الحصان كان يعد من أسلحة الجيش الهامة لهذا فقد اهتموا به، بتربيته وإعداده وحمايته وسلامته كانت من سلامة فارسه، ولهذا كان يُغطى جسمه بدروع فولاذية أو جلدية تسمى التجافيف.

كما استخدم العرب المسلمون أسلحة الحصار الثقيلة، كالمنجنقات المدمرة للحصون، والدبابات، والكباش لتقب الأسوار والحصون، والمنجنيق: وهي آلة تُرمى بها الحجارة على الأعداء من بعيد، ويورد ابن هشام أن النبي (ص) كان أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، وحدث ذلك حين حصار الطائف، ومطاردة فلول قبيلة ثقيف، الذين اعتصموا بحصونهم، ورموا المسلمين من فوقها بنبالهم، مما اضطر أصحاب الرسول (ص) لنصب المنجنيق ورميهم به.

وعرف العرب الدبابة، واستخدم المسلمون في حروبهم ضد المشركين "الصنبور"^(٥)، وهي دبابة من الخشب المغطى بالجلد، يكمن الجنود في داخلها ليتقوا النبال الموجهة إليهم من حصون الأعداء، ويهاجموا بها جدران الحصون محاولين تقبها وتدميرها، والدبابات كانت تصنع من الخشب الثمين، وتغلف باللبايد المنقوعة في الخل لدفع النار، وتركب على عجلة وتحرك فيدفعها الرجال وهي أقدم من المنجنيق استخدمها المصريون القدماء ثم الآشوريون فالليونان فالرومان فالفرس فالعرب، وهي قلعة سائرة على عجل، يهجمون بها على الأسوار^(٦) لمحاربة المحاصرين من أعلى السور، واستخدمها العرب كثيراً في حروبهم ضد البيزنطيين واستخدمت أثناء فتح المعتصم لعمورية، وقد حرص كل من الطولونيين والأخشيديين على إيجاد قوة عسكرية تخدم مشاريعهم السياسية ولهذا اهتموا بالجيش وتسليحه والعناية به، كما لم يكن سيف الدولة الحمداني بأقل عناية من هؤلاء فقد حرص أن يشكل قوة عسكرية تقف سداً منيعاً في وجه أكبر إمبراطورية في تلك الفترة، وهو لهذا دعم الثغور وحصنها وأشاد القلاع والحصون وعبأها بالجنود والمقاتلين وكانت حروبه مع الروم من العوامل المساعدة على تطوير الصناعات الحربية التي استهلكت مجهودات هذا القائد وهكذا فقد تفنن الحلبيون بصنع الخوذ المصنوعة من صفائح معدنية والأقواس المرنة ذات الأحجام الكبيرة والتي لا يخشى استعمالها إلا الرجل العملاق، وقد اهتم سيف الدولة الحمداني بجمع العمال الفنيين، وكان يعاملهم كالمحاربين العظماء الذي كان يقدسهم، ولهذا فقد تقدمت حلب في عهده في مختلف الفنون والصناعات العسكرية وغيرها^(٧).

لا بد من التذكير ونحن بصدد صناعة الأسلحة إلى أن العرب توصلوا إلى اختراع أسلحة متطورة، كالقدور الكفيات وهي قدور خزفية بحجم الرمانة محشوة بالنشادر والجير والبول، وتلقى

(٤) الجواشن: الصدر، أو درع يوضع على الصدر.

(٥) الصنبور: أصل النخلة.

(٦) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، (٥ أجزاء): مراجعة حسين مؤنس - دار الهلال القاهرة - ١٩٦٨ طبعة ١٩٢٦. ص ١٩٠.

(٧) كمال الدين بن قاسم المعروف بابن العديم، (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م بغية الطلب في تاريخ حلب، نشر وتحقيق سهيل زكار ص ٣٥ مقدمة ٨٥/٨٦/٩١ - كثار: أخبار سيف الدولة ص ٩٥ - ٩٦ - ١٠٨.

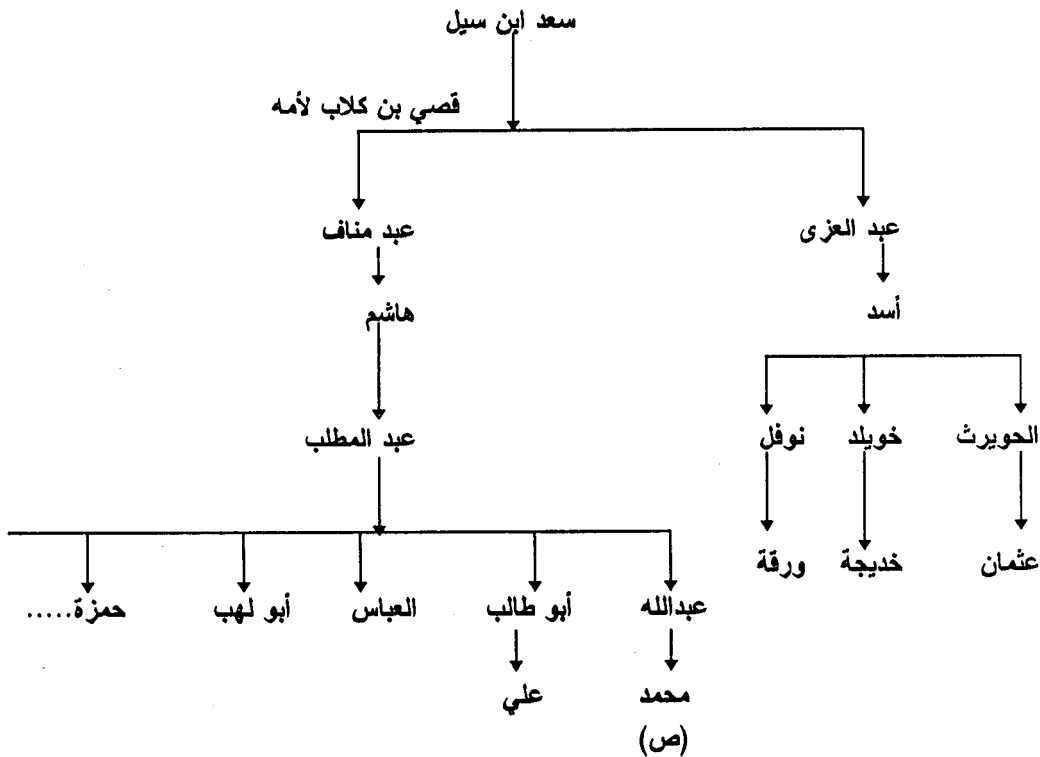
التراث العربي

والسيف الجيد هو المصنوع من الحديد النقي ومن الفولاذ وفي العربية لفظ فولاذ أي نوع مميز من أنواع الحديد، يعني أنه مُصاص الحديد المنقى خبثه^(١٣).

ويقال لحديد السيف "النصل" أما حدّه فيقال له "ظبة" وجمعها ظبي "الظباء حد السيف" ومنذ العصر الجاهلي تم إتقان صناعة السيف، وعمل أصحاب حرفة صناعة السيوف على توشيتها وتحليتها بالذهب والفضة- والسؤال الذي يطرح نفسه هل تذكر المصادر أول من قام بتوشية السيف بالذهب والفضة.

وتذكر المصادر: أن سعد بن سيل، جد قصي بن كلاب لأمه، كان أول من حلى السيوف بالفضة والذهب، وكان هذا أهدى إلى "كلاب" والد قصي مع ابنته (فاطمة) والدة قصي، سيفين محليين فجعلوا في خزانة الكعبة^(١٤).

هذا الخبر حول توشية السيف يدل على أن حرفة وصناعة السيوف كانت حرفة محلية متقنة في الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى أن العرب عرفوا صناعة الذهب، وثراء قصي الذي يملك الذهب والفضة لتوشية السيف. ومن جهة ثالثة تسعفنا المصادر في رسم شجرة نسب لهذا السعد بن سيل، فيما يلي:



(١٣) اللسان، ج ٣، ص ٥٠٣.

(١٤) جواد علي: الموصول ج ٤، ص ٣٨ - انظر البلاذري: أنساب ج ١، ص ٤٨٥ انظر واضح الصمدة الصناعات الحرفية، ص ١٢٦.

عرف من قصي أنه تولى أمر الكعبة بعد طرده قبيلتي بني بكر وخزاعة من مكة، وأنه جمع شتات القبائل المبعثرة في شعاب مكة وبطاحها تحت زعامته، وأطلق على التجمع اسم قريش، قريش هو التجمع من قول ابن إسحق إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها بعد تفرقها. ويقال للتجمع التقرش^(١٥) ولما تزوج قصي من حبي بنت خليل الخزاعي، وكان له أولاد ومال، عظم شرفه وجمع قومه وتملك عليهم فكانت إليه ستة أمور الحجابة والقيادة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، توزعها أبناؤه من بعده بالتساوي^(١٦).

ولكن هل كان العرب يستوردون السيوف من الخارج؟ للإجابة عن هذا السؤال تسعفنا أشعار الخنساء والأعشى التي ذكرت أن العرب كانوا يستوردون السيوف من الهند، وربما لأن السيوف الهندي كانت صناعته أفضل من السيوف العربية المصنوعة في الجزيرة العربية^(١٧).

من هم أصحاب حرفة صناعة السيوف في الوطن العربي؟ وأين كانت تصنع السيوف؟ تذكر المصادر أن سيوف اليمن من أشهر السيوف المصنوعة في الجزيرة العربية، كما اشتهرت مكة بصنع السيوف أيضاً، ويؤكد ذلك أن (خباب بن الأثرث) كان يعمل بحرفة صناعة السيوف في الجاهلية. وخباب هذا صار صحابياً من أصحاب الرسول (ص) ومن المسلمين الأوائل الذين عذبوا في مكة^(١٨). كما صنعت السيوف في نجد ومن قبل القبائل العربية المنتشرة فيها "كقبائل عدوان وسليم"، يؤكد صناعتها إذا تطرقنا لأنواعها والمشهور منها والتي غالباً ما تنسب إلى مكان صنعها أو إلى صانعها.

أنواع السيوف:

تذكر المصادر أن أهم السيوف المشهورة هي:

١- الأريحية: وأريح موضع بالشام.

ويقول الأزهرى: أريح حي من اليمن، لكن معجم البلدان^(١٩) يذكر أن أريح بلد بالشام وهو لغة أريحا.

٢- السيوف البصرية:

عرفت سوق "بصرى" بالجودة كذلك ويقال لسيوفها "بصري"، وورد في المعجم بصرى في موضعين بالضم والقصر إحداها بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة قديماً وحديثاً. وبصرى من قرى بغداد قرب عكبراء، كما تشير بعض المصادر لشهرة بلاد الروم والفرس

(١٥) السيرة النبوية لابن هشام، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، ٤ أجزاء، دار الجيل بيروت، بيروت ١٩٧٥، ص ١/١٩٨٧.

(١٦) سيرة ابن هشام ١١٥/١.

(١٧) انظر ديوان الخنساء ص ٥٣ الأعشى، ص ١٤٧.

(١٨) جواد علي: المفصل، ج ٧، ص ٥٥٦ - الكتاني: التراتيب، ج ٢، ص ١٦٥.

(١٩) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ١٦٥/٤٤١.

بصناعة السيوف.

٣- السيوف السريجية:

وهي المنسوبة إلى سريج رجل من بني أسد، ذكر محمد بن حبيب: هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وكانوا قيوناً^(٢٠).

٤- السيوف اليمنية القلعية:

نسبة إلى القلعة وهي موضع باليمن بواد ظهيرية معدن الحديد. ومن أنواع السيوف المشهورة الشرقية التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي ويورد ابن رشيق:

٥- السيف المشرفي:

منسوب: منسوب إلى مشرف، وهي قرية باليمن عملت السيوف فيها. وهذا القول يعارض ما قيل أنها تنسب إلى مشارف الشام أو مشارف الريف، وذكر ياقوت. والمشرافي منسوب إلى المشارف، وهي قرى للعرب تدنو من الريف، وقال أبو ابن الكلبي: هو المشرف بن مالك بن دعر بن يعرب بن قحطان^(٢١).

وورد في اللسان "والمشارف قرى من أرض اليمن ومثل من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرافية منسوبة إليها. يقال سيف مشرفي وفي حديث سطيج، يسكن مشارف الشام، وهي كل قرية بين الريف وجزيرة العرب قيل لها ذلك لأنها أشرفت على الواد، وقيل هي التي تقرب من المدن^(٢٢).

ومن السيوف اليمنية والتي اشتهرت في أرجاء الجزيرة العربية وجميع السيوف المشهورة نسبت إلى مناطق يمنية وأشهر السيوف في الجاهلية والتي استمرت شهرتها في الإسلام.

أ- سيف عمرو بن معد يكرب وعرف هذا باسم الصمصامة.

ب- سيف عُرف (بذي الفقار) وارتبط اسمه بالإمام علي بن أبي طالب، الذي حصل عليه في معركة بدر وأخذه من العاص بن أمية^(٢٣).

وقيل إنه واحد من سبعة سيوف أهدتها بلقيس، الملكة المذكورة في القرآن، إلى سليمان ثم وصل إلى العاص. ولكن لم أجد كيف وصل هذا السيف من سليمان إلى العاص ومنه إلى علي بن أبي طالب وأيضاً من صنع هذا السيف الذي أصبح رمزاً حتى الآن إلى

(٢٠) ابن رشيق: العمد، ج ٢، ص ٢٣٢، طبعة ٤، بيروت واضح العمد المرجع ص ١٢٨.

(٢١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٢.

(٢٢) اللسان ج ٢، ص ١٤٧ ديوان الخنساء، ص ٣٨ ديوان زهير ص ٣٣. ديوان الحطيئة ص ١٤٠.

(٢٣) جواد علي: المفصل، ج ٥، ص ٤٢٣- عن تاج العروس، ج ٣، ص ٤٧٤.

من وصل؟ ومع من هو الآن. وقيل إنه سيف"مرثد بن سعد" عم عمرو بن قميئة.
ج- قيل إنه كان للرسول(ص) سيف يقال له"رسوب" أي يمضي في الضريبة ويغيب فيها، وكان
لخالد بن الوليد سيف سماه مرسباً(٢٤).

أسماء السيف:

جاءت المصادر بالعديد من الأسماء للسيف منها: المرفف، والعضيب والصارم، والباتر،
والقصال، والمقصل، والمفضل، والمحراز، والغاضب، والهدام، وكلها تعبير عن مضائه، ومن أسمائه
الذكر والحسام والمهند... الخ.
والسيف الرقيق دليل على أنه من معدن صلب ممتاز من الفولاذ ويدل على تقدم في صناعة
المعادن.

السيوف الشامية:

والحديث عن السيوف وشهرتها وأهميتها في حياة العربي يدفعنا إلى الحديث عن السيوف
الشامية حيث من المعلوم أن بلاد الشام اشتهرت بصناعة الأسلحة عموماً وبخاصة السيوف. وهي
حرفة قديمة حافظت الشام عليها رغم عوائد الأيام، واستمرت دمشق تحتل مكان الصدارة حتى غزاها
تيمورلنك وأخذ معظم صناعاتها في سنة(٨٠١هـ / ١٤٠٠م) قاصداً إحياء هذه الصناعة في بلاده
وإضعافها في الشام وأدى ذلك إلى إضعافها فعلاً.

ويذكر ابن خلدون أن دمشق ازدهرت بصناعة السيوف والتي يعود تاريخها إلى ما قبل القرن
الثالث الميلادي، واستمرت هذه الصناعة فيما بعد نتيجة لأهمية السيوف ودورها الحربي، وذكر
الكندي أنواعاً عديدة للسيوف. وعدّ منها خمسة وعشرين نوعاً، تتبع تسميتها لنوع الفولاذ المستعمل
فيها، أو المكان الذي صنعت فيه السيوف: كاليمانية والهندية، والدمشقية والمصرية، والكوفية
وغيرها، وكان ينقش على السيف الأشعار والآيات القرآنية والعبارات الإسلامية بماء الذهب^(٢٥).

واشتهرت بعض مدن الشام بصناعة السيوف ومنها(سيوف مؤاب، والإيلة)، وكان لكل نوع من
أنواع السيوف شكل مخصوص أو علامة يمتاز بها ويمكن أن يميز عن غيره، والسيف العربي
مختلف القياس بحسب الأقاليم التي انتشر فيها العرب ولم يكن له صفات موحدة، غير أنه يمكن تمييزه
عن السيوف الساسانية والبيزنطية والهندية والرومية^(٢٦).

(٢٤) اللسان ج ١٢ ص ١٦٨- ديوان عبيد بن الأبرص ١٢٣/١٢٧ ديوان الخنساء ص ٥٥.

(٢٥) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص ٢١١- رسالة الكندي السيوف وأجناسها ص ١- ٢٦- طبعة لندن نشرت مع التحقيق في نشرة
كلية الفنون الجميلة جامعة القاهرة مجلد ٢١٤، مقال لعبد الرحمن زكي سنة ١٩٥٥- ١٩٥٦م.

(٢٦) رسالة الكندي السيوف وأجناسها ص ١- ٣٦ انظر(محمد زيود التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي
ص ١٠٦.

❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

وهنا تأتي ضمانته للإنسان من أعدائه، لذلك كانت صناعة السيف وما زالت تزدهر لكثرة استعمالاته في العصر الحديث وخاصة بدمشق وأهم استعمالاته وأسباب ازدهار هذه الحرفة:

١- إن السيف يستعمل للزينة: كان المقاتل الفارس يعلقه على الخصر أما الآن فأصبح يعلق على الصدر، من الشاب والصبي، كرمز للحرية. وفي صدر كل منزل دمشقي، وخاصة في منازل الضباط، كرمز للحمية والعزة، وحب الدفاع عن الوطن... ورمز للفتوة وحماية الأهل والبيت (القوم والوطن).

٢- يستعمله الرؤساء والقادة: هدايا للضيوف والزوار، لذلك دخلت حرفة صناعة السيوف إلى التلفاز والسينما لكثرة الأفلام والمسلسلات التي أخذت تحتاج إلى صناعة السيف لحت الناس على الفروسية، وإحياء الماضي نستمد منه قوة الحاضر.

وخير مقولة في معاني السيف وخاتمة هذه المقالة ما قاله أحد المؤرخين بعد معركة بدر (إن علياً ع) كان في كل الحروب السيف الأول الذي وتر القريب والبعيد).^(٢٩)



□ المصادر والمراجع

- ١- قرآن كريم.
- ٢- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١- ٥ (أجزاء: مراجعه حسين مؤنس دار الهلال القاهرة ١٩٦٨ وطبعة ١٩٢٦ م. ص ١٩٠).
- ٣- كمال الدين أبي القاسم المعروف بابن العديم، (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م بغية الطلب في تاريخ حلب، نشر وتحقيق سهيل زكار، مقدمة ٩١/٨٦/٨٥/٥٦ كثار أخبار سيف الدولة.
- ٤- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م المعروف بالنويري اسكندري: الإلمام لما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية ورقة ٢٠٦ مخطوط.
- ٥- أبو دلف الخرجي: الرسالة الثانية ص ١٢.
- ٦- ابن الشياط: وصف الأندلس ص ١٨٥- العبادي مقال.
- ٧- أحمد مختار العبادي: الحضارة الإسلامية، ص ٣٥٠.
- ٨- عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر "٧ أجزاء" طبعة بولاق. وطبعة القاهرة ١٢٧٤هـ وطبعة بيروت ١٨٨٦، ج ٧، ص ١٨٨.
- ٩- اللسان، ج ٣.
- ١٠- جواد علي: الموصل ج ٤- انظر البلاذري: أنساب ج ١ ٤٨٥ انظر واضح الصمدة الصناعات الحرفية، ص ١٢٦.

^(٢٩) علي بن أبي طالب: نظرة عصرية جديدة بأفلام محمد عمارة، د. محمد أحمد خلف الله عبد العزيز حافظ رتيا، حسين كروم، محمد الطيب، أحمد الوائل، د. محمود قاسم، د. محمود إسماعيل، د. مصطفى كمال وصفي: المؤسسة العربية للدراسات ونشر والطبعة الثالثة كانون الثاني ١٩٨٠- بيروت ص ١٠٠.

*** التراث العربي ***

- ١١- البلاذري: أنساب، ج ١.
- ١٢- واضح العمدة: الصناعات الحرفية بلا تاريخ.
- ١٣- السيرة النبوية لابن هشام، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، ٤ أجزاء، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥، ص ١/١٩٨٧.
- ١٤- ديوان الخنساء
- ١٥- ديوان الأعشى
- ١٦- الكتاني: التراتيب، ج ٤
- ١٧- ياقوت: معجم البلدان، ج ١- ج ٥
- ١٨- ابن رنief: العمدة، ج ٢، ط ٤، بيروت.
- ١٩- ديوان زهير
- ٢٠- ديوان الحطيئة
- ٢١- ديوان ابن الإبر
- ٢٢- الكندي: رسالة السيوف وأجناسها، طبعة لندن نشرت مع التحقيق في نشرة كلية الفنون الجميلة جامعة القاهرة مجلد ٢١٤ مقال لعبد الرحمن زكي سنة ١٩٥٥-١٩٥٦.
- ٢٣- د. محمد أحمد زيود: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي منشورات جامعة دمشق ١٤١٤- ١٤١٥/١٩٩٣-١٩٩٤م.
- ٢٤- عبد الواحد الأمدي التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم مجموعة من كلمات الإمام علي عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت لبنان ج ١.
- ٢٥- علي بن أبي طالب: نظرة عصرية جديدة بأقلام محمد عمارة، محمد أحمد خلف الله عبد العزيز، حافظ ريتا، حسين كروم، ومحمد الطيب، أحمد الوائل، محمد قاسم، محمود إسماعيل، مصطفى كمال وصفي المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الثالثة كانون الثاني ١٩٨٠ بيروت.

□□□